﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦﴾ [الأنفال: 6]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الـــرّبـــط بـين كـراهـيّـة بعض المؤمنين للحرب، وجـــدالـــهـــم في الحقّ المستبين

لمّا ذكَرَ سبحانَه أنَّ فريقًا منَ المؤمنين خرجوا مع النّبيّ ﷺ، وهم كارهون للقتال؛ نظرًا لعدم استعدادهم له، ذكَرَ دليلَ كراهتِهم وردّةَ فِعلِهم الّتي أظهروها منَ الجدال في الحقّ، الّذي وعدَهم اللّهُ تعالى به من إعلامِ رسولِه ﷺ بالنّصر المؤزّر من حيث لا يحتسبون ولا يَدرون، فليمتَثِلوا ويوقِنوا بموعود اللّه.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾: منَ الجِدالِ والجَدَلِ والمجادلةِ، وهو استِحكامُ الشَّيءِ في استِرسالٍ يَكونُ فيه، وامتِدادُ الخُصومَةِ ومُراجَعَةُ الكَلامِ، ويُقالُ للزِّمامِ القَويّ جَديلٌ: حَبلٌ مفتولٌ (شديد الفتل أو محكمه). ومنه جادَله: خاصمَه في شدّةٍ ولَدَد، فالمجادلةُ التفافُ كلٍّ على الآخر بإصرارٍ.

والمقصودُ بمجادلتهم في الحقّ بعد ما تبيّن: جدالُهم في لقاء العدوّ، وعند دنوِّ القومِ بعضهم من بعض[1].

2) ﴿يُسَاقُونَ﴾: مِنَ السّوقِ، وهو دفعُ الشّيءِ مِن خَلفِه بقوّةٍ، ليُسرِعَ في سَيرِه ويَتَتابَعَ فيه، ومنهُ سَوقِ الإبلِ ونحوها، والمرادُ هنا: لِشدَّة كراهيتِهم لِلقاءِ القومِ كأنَّهم يُدفعونَ إلى الموتِ دَفعًا[2].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 393/13، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جدل).

(2) ابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سوق)، والواحديّ، الوجيز، ص: 431.

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بـيـان حـال المجادلين في وعد الله، وكأنّهم يساقون إلى الموت بالإكراه

تُصوّرُ هذه الآيةُ فريقًا منَ المؤمنين الّذين جادلوا رسولَ اللّه ﷺ حين خرجوا معه موعودين بالظّفر بإحدى الطّائفتين، حيثُ كان أغلبُ الّذين خرجوا معَ النّبيّ ﷺ يؤمّلون الظّفرَ بعيرِ قريشٍ المحمّلةِ بتجارتهم، ولكنَّ اللّه تعالى - لحكمتِه البالغةِ وعلمِه الأزليّ - اختارَ لهم الطّائفةَ ذات الشّوكة، وعلى الرّغم من وعد النّبيّ لهم بالنّصر والظّفر بإحدى الطّائفتين، وهو الحقُّ الّذي تبيّن، وعلى الرّغم من تصديقهم وعدَ اللّه تعالى، إلّا أنّهم جادلوا رسولَ اللّه في ذلك، وقالوا: ما خرجنا متأهّبين لقتالٍ، وكان حالُهم في ذلك الموطن شبيهًا بأناس يُساقون إلى الموت، وهم ينظرون أسبابَه، ويلحظون أماراتِه؛ ذلك لعدم استعدادِهم النّفسيِّ، وقلّةِ عددِهم وعُدَّتِهم الحربيّةِ، وفي الوقت نفسِه كان فريقُ أهل الشّرك أنشطَ قلوبًا، وأكثرَ استعدادًا، وأوفرَ عددًا وعدّةً، كلُّ ذلك جعلهم يكرهون القتالَ، ويُفضّلون عدمَ لقاءِ عدوِّهم.

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

**دلالةُ فصل: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ﴾ عمّا قبلها:**

الاستئنافُ البيانيُّ من أبلغ البيان وأنصعه

جملة ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ يُحتمَلُ أن تكونَ مستأنفةً تُخبرُ عن حال المؤمنين الّذين كانوا يُجادلون نبيَّ اللّهِ ﷺ، والاستئنافُ إمّا نحويٌّ غرضُهُ تقريرُ أمارةِ كراهتهم، وساقها القرآنُ استقلالًا سَوقَ الدّليلِ على القضيّة، ولذا فصلَها، وإمّا استئنافٌ بيانيٌّ هو جوابٌ عن سؤالٍ مُقَدَّرٍ يدلُّ عليه المقام، كأنّه قيل: ما دليلُ أنّهم كارهون؟ فقال: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾، والاستئنافُ البيانيُّ لا يوصَل بالواو، ويحتملُ أن تكونَ حالًا ثانيةً من ضمير المفعول في ﴿أَخْرَجَكَ﴾ بعد ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا﴾؛ أي: أخرجك في حال مجادلتهم إيّاك، ويحتملُ أن تكونَ حالًا منَ الضّمير في ﴿لَكَٰرِهُونَ﴾؛ أي: لكارهون في حال جدال، والأحسنُ

أن تكونَ جملةُ ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ حالًا من ﴿فَرِيقًا﴾، مضارعُها مُثبَتٌ، مشتملةٌ على ضمير صاحبها، ولذا فُصِلَتْ[1].

### دلالة إيثارُ استعمالِ ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ دون مرادفاته:

المُجادِلُ لا يَصبِرُ، والجدال سوء أدب مع الله

اصطفاءُ الفعل ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ دون غيره ممّا يُقاربُه في المعنى؛ لتصوير حالةِ عدمِ الصّبرِ على عدم الاعتراض، فإنّ المُجادِلَ لا يَصبِرُ، والغرضُ: تصويرُ عِلّةِ الكراهيةِ بلفظٍ يعبّرُ عن إلحاحِ الطبعِ وقلقَلةِ النّفسِ تُجاه ما يُخرِجُها عن حدّ المألوفِ لها، وليس أنسبَ في الدّلالة على ذلك من لفظ (الجِدال) الّذي يدلُّ وزنُه (فِعال) على معانٍ باطِنةٍ كالامتناع والجِماح والنّفار، فاستعملَ ما يَصِفُ تمَنُّعَهُم لشِدّة حرجِهم تجاه الحكمِ بالخروج منَ المدينة[2].

### سرّ مجيءُ الفاعلِ ومفعولِه ضميرين:

الإلـــاحُ وتـــركُ الإفصاحِ، مُؤذِنٌ بالصّفح وعدمِ الافتضاحِ

جاء الفاعلُ والمفعولُ في قوله: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ ضميرين، حيثُ يعودُ ضميرُ الواو على الفريق، وضميرُ الخطاب مفعولٌ يعودُ على الرّسول ﷺ، ومِن كرائِم المعاني أنّه أتى على الفاعل والمفعول بالضّمير لا بالاسم الصّريح؛ لئلّا يتقصّدَ الفريقَ الكارِهَ بالإعلانِ والذِّكرِ إعراضًا عن أن يَنسِبَهم بذواتِهم وأشخاصِهم إلى الجِدال، وإعفاءً لهم منَ المؤاخَذةِ عليه، فمَرّ عليهم مُرورَ الكرامِ بإسناد فِعلِ الجدالِ إلى ضميرهم من غير تصريح، فلم يُفصِحْ عنهم في الذِّكرِ ليَصفحَ عنهم فيما صدرَ منهم، فعدَمُ الإفصاحِ للصَّفح وعدم الافتضاح! والّذي يُعينُ على هذا التّوجيه أمران:

**الأوّل**: أنّه صرّحَ بهم من قبل، فأضمرَ اكتفاءً بدلالة الظّاهرِ السّابقِ ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا﴾ على المضمَرِ اللّاحقِ ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾. **الثّاني**: أنّه

(1) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 563/5.

(2) الأشمونيّ، شرح الأشمونيّ للألفيّة: 233/2، وخالد الأزهريّ، التّصريح بمضمون التّوضيح: 27/2، وفاضل السّامرائيّ، معاني الأبنية، ص: 26.

حين صرّح بهم في قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا﴾ نكّره قصدًا لشيوعه، ثمّ قيّدَه بما يدلُّ على مدحِهم، وهو قولُه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، والمادِحُ لا يَنوي المؤاخذَةَ، ولا يُعرِّضُ بل يُعرِضُ، فلمّا فرغَ التّركيبُ هنا من قيد المدحِ أضمرَ ذواتَهم لقصدِ الإخبارِ عنِ الجِدالِ الحاصلِ، دون الخوضِ في الفاعلِ، ويكأنّ الاستهجانَ واقعٌ على فِعلِه لا عليه، وأسندَ الجدالَ إلى ضمير الخطابِ المتّصلِ؛ ليدلَّ على أنّهم كانوا يُجادِلون بالودّ، وحسنِ النيّة، ومقتضى القربِ من شخص الرّسول ﷺ، ولم يكن جدالُهم معه جدالَ الأباعِد ولا المُغرضين، ولذا لم يصرّحْ بإجراء وصفِ الرّسالةِ على المفعول، فلم يقُل: (يجادلون الرّسول)؛ لدفعِ ما يوهِمُ أنّ جدالَهم مُتَّجِهٌ لمعنى الرّسالةِ وأحكامِها، كجِدال المُعرضين المُناكِفين.

**نكتةُ استعمالِ صيغةِ المضارعِ ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾:**

التّعجيب يبرز التّفاعل مع الحال المكرّسة في السّياق

التّعبيرُ بالمضارع في قوله: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾؛ لحكاية حالِ المجادلَة زيادةً في التّعجيب منها، وهذا التّعجيبُ كالّذي في قوله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ من قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾ [هود: 74]؛ إذ قال: يجادلُنا؛ ولم يقُل: جادلَنا[1].

**فائدةُ قولِه: ﴿فِى ٱلْحَقِّ﴾:**

تقريرُ أنّ جِدالَهم جانَبَ الصّوابَ

قوله: ﴿فِى ٱلْحَقِّ﴾ مُتعلِّقٌ بـ ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾، والحقُّ هو القتالُ وإيثارُ مُلاقاةِ النّفيرِ على الظّفَرِ بالعير[2]، وفائدتُه: تقريرُ أنّ جِدالَهم جانَبَ الصّوابَ، ولم يكن في موضِعه.

**دلالةُ قولِه: ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾:**

تقريرُ أنّ الجِدالَ منهيّ عنه، وأنّه خِلافُ الأولَى وخلافُ الصّواب

قوله: ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾؛ أي: بعدما تبيّن لهم صوابُه من حيثُ العاقبةُ والنّصرُ، وتبيّنَ لهم فرضُه، فليس لهم أن يُطاوِعوا طِباعَهم في استثقالِه، ودلالةُ التّقييدِ به من وجوهٍ: الأوّل: التّعليلُ بما يقتضي

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 267/9.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 199/2، وصافي، الجدول: 173/9.

إنهاءَ حالةِ الجِدالِ، وهو ظهورُ الحقِّ؛ إذ بعد بيانِه ليس لجدالِهم مُقتضًى. الثّاني: تقريرُ أنّ جِدالَهم كان خِلافَ الأولَى وخلافَ الصّوابِ؛ لأنّهم جادلوا برغم ظهور الحقِّ لهم. الثّالث: الإشعارُ بأنّ اللّه عذَرَهم في أصلِ جِدالِهم قبل أن يَظهرَ الحقُّ لهم، وهو مفهومُ قولِه: ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾. الرّابع: أنّ الجِدالَ في الحقِّ لا يُلامُ عليه المُجادِلُ إذا كان مُشكِلًا عليه غيرَ بَيِّنٍ عِندَه.

**نكتةُ نصبِ الظّرفِ (بعدَ)، وعدمُ دخولِ حرفِ الجرِّ عليه:**

لـيـس كـلُّ الجِدالِ مذمومًا في الحوار، ولكن لا ضرر ولا ضرار

عدمُ دخول (مِن) كأن يُقال: (يجادلونك في الحقّ من بعد ما تبيّن)؛ لإفادة استغراقِ الظّرفِ للزّمن المختصِّ به في التّعقيب بين الجدالِ والبيانِ، من غير إرادةٍ لتحديدِ وقتِ ابتداءِ ذلك في حيّزِ البعديّةِ؛ ليفيدَ أنّ جِدالَهم حصلَ بعد ظهورِ الحقِّ لهم، فلا يلزمُ أن يكونَ بعدَه مباشرةً على وجه السّرعةِ والفوريّةِ، ولا يلزمُ أن يكونَ بعدَه بمدّةٍ طويلةٍ أو قصيرةٍ؛ لأنّه أرادَ مجردَ إتيانِ شيءٍ بعد شيءٍ فقط.

وهذا يدلُّ على تفاوتهم ﷺ في صدورِ الجدالِ عنهم بعدَ ظهورِ الحقِّ، بحسبِ تفاوتهم في كيفيّة استقبالِهم للحقِّ المذكورِ، أمّا لو قيل: (من بعد ما تبيّن)؛ أي: أنّ جدالَهم يكون مُبتدَئًا وناشِئًا من تحقّقِ البيانِ لهم؛ لأنَّ (مِن) لابتداءِ الغاية، فالشّروعُ في بدء الحدَث لا بدَّ أن يكونَ فوريًّا وسريعًا بلا تمهّلٍ ولا مُدارسَةٍ للبيانِ الّذي أتاهم، ولو قال ذلك لكان فيه نوعُ مَذَمّةٍ للفريق الّذي جادَل، والّذي شهدَ له بالإيمان؛ لأنّ الّذي يُجادِل سريعًا فورَ أن يظهرَ له الحقُّ يكون متعجّلًا غيرَ متمهِّلٍ في دراسةِ هذا الحقّ، وغيرَ متفرّغٍ لإعادةِ النّظرِ فيه، ولذلك يُسرعُ في الاعتراض بالجدال، فيكون جدالُه جِدالَ المُعرِض لا جِدالَ المتحقّق المُتحرّي.

وفي عدم الإتيان بـ(مِنْ) نوعُ مدحٍ للصّحابة ﷺ؛ لإشعاره أنّهم لم يُسارعوا في الجدال، بل تمهّلوا ونظروا في الحقّ الّذي أتاهم،

ثمّ جادلوا، وهذا معناه أنّ جِدالَهم كان سائغًا بالنّسبةِ لهم، وله وجهُهُ المُعتَبرُ عندهم، ولم يكن اعتِباطًا أو انفعالًا غيرَ محسوب، وهذا مدحٌ لهم أيُّ مدح، وإعذارٌ لهم أيُّ إعذار، وتقويةٌ لتزّكيتِهم بالإيمان في قوله: ﴿فَرِيقًا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، وإنْ كان لا يمنع اشتمالُه أيضًا على معنى العِتاب والتّعجيب إلّا أنّه عِتابُ مَن ثبتَت تزكيتُه، واعتُبِر في الأمور نظَرُه؛ لأنّ الشّهادةَ لهم بالإيمان لها لوازمُها الكثيرة في الاعتبار والإعذار، وهذا على عكس ما قد يُتَصَوَّرُ من هذا التّركيبِ من أنّه (عليهم) لا (لهم) ﷺ، إلّا أنّه لو اعتُبِرَ ما تمّ تقريرُه لظَهَر أنَّ هذا التّركيبَ مع مجموعِ السّياقِ يفيدُ كونَه (لهم)، وفي صالحهم، لا (عليهم)[1].

### دلالةُ الفعل ﴿تَبَيَّنَ﴾ دون مرادفاته:

البيانُ يَخلقُ فجوَةً بين الوضوحِ وعكسه

استُعمِل الفِعلُ ﴿تَبَيَّنَ﴾ دون الأفعال المقاربة له في المعنى؛ ليدلَّ على البَونِ الفاصل بين الحقّ والباطل، وليدلَّ على أنّه ليس مجردَ انكشافٍ ووضوحٍ أو ظهورٍ، بل هو وضوحٌ مقترنٌ ببَينونَةٍ حاصلَةٍ بين طرفين، طرفِ الحقّ وطرفِ غير الحقّ؛ لأنَّ التّبيُّنَ في أصله يدلُّ على "امتدادٍ بين طرفين أو جانبين مع فصلٍ كبيرٍ أو اتّساعٍ، ومن ذلك الفصل والتّمييز جاء معنى الوضوح والظّهور؛ لأنّ المفصولَ المتميّزَ عن غيره يَلفِتُ النّظرَ"[2].

### فائدةُ الفعل اللّازم ﴿تَبَيَّنَ﴾، ودلالةُ صيغته:

معاني التّدرّجِ والصّيرورةِ والتّكلُّفِ، من المعاني المتداولة

الفعلُ ﴿تَبَيَّنَ﴾ على وزن (تَفعّل)، وقد أتى البيانُ على هذه الصّيغة دون أن يُقال: (بان الحقُّ)؛ للدّلالة على عِدّة معانٍ:

الأوّل: (التّدرّج): فالحقُّ يَبينُ شيئًا فشيئًا بتظاهر الأدلّةِ وتكرارِ التّذكيرِ به.

(1) الخضريّ، من أسرار حروف الجرّ، ص: 345.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بون - بين).

الثّاني: (التّكلّف): وهو أحدُ الدّلالاتِ الأصيلةِ لصيغة (تفعّل)، ومعنى التّكلُّف هنا: أنّ إظهارَ الحقِّ يحتاجُ إلى معاناةٍ في انعتاقِه وانفصالِه عنِ الالتباسِ، وتصفيتِه منَ الباطل والهوى، فأسندَ إليه التّبيّنَ؛ ليدلَّ على تَخلُّصه وصفائه، وأنّه خُلاصةٌ مُصفّاةٌ ومُصطَفاةٌ.

الثّالث: (الصّيرورة) فمعنى (تبيّن)؛ أنّه حتّى يظهرَ انتقلَ من طَورٍ إلى طورٍ، فصار واضحًا جليًّا بعد أن كان مُشكِلًا خفيًّا[1].

### إيثارُ استعمالِ صيغةِ الماضي: ﴿تَبَيَّنَ﴾:

صيغةُ الماضي في قوله: ﴿تَبَيَّنَ﴾؛ للدّلالة على تشبّعِه - أي: الحقّ - بصفة التّجلّي والبيان، وتحقّقِ ذلك فيه تحقُّقَ الأزمانِ الماضيةِ لا ريبَ في تحقّقِها وتمامِها.

صيغةُ الماضي تدلُّ على تشبّعِ الفاعِل بمعنى الفِعل

### دلالة إعراب ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾:

الجملةُ في محلّ نصب على الحاليّةِ من ضمير (لكارهون)، ويصحُّ أن تكونَ صفةَ مصدرٍ من ﴿لَكَٰرِهُونَ﴾ بتقديرِ مضافٍ؛ أي: كارهون كراهةً ككراهةِ مَن سيقَ إلى الموت، ودلالةُ ذلك تشبيهُهم في كراهيتِهم الجهادَ الموعودَ بالنّصر والظّفر، ونفورِهم منَ الخروجِ له، كحالِ من يُساقُ إلى مَهلَكَتِه وهو ينظرُ، أو تشبيهُ حالِهم في جدالهم منَ الاضطرابِ وعدمِ القرارِ كحالِ من ساقَه سائقٌ إلى الموت، وهو يُدافِعُه ولا يُطاوِعُه[2].

تصويرُ حال المذكورين في كراهتهم لأمر الله بالخروج للجهاد

### بلاغة التّشبيهُ التّمثيليُّ:

في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ تشبيهٌ تمثيليٌّ، حيث شبّه حالَهم، في فرط فزعِهم ورعبِهم، وهم يُسارُ بهم إلى الظّفرِ والغنيمةِ، بحالِ مَن يُساقُ إلى القتل[3].

الجدال في أمر الله تعالى، سببه كراهية الموت وحبّ الحياة

(1) سيبويه، الكتاب: 71/2 - 73/4، وابن مالك، شرح التّسهيل: 452/3.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 115/2، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 344/2، والشّهاب، حاشية الشّهاب: 254/4.

(3) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 174/9.

### نكتةُ التّعبيرِ بـ ﴿يُسَاقُونَ﴾ دون مرادفاته:

غَلَبَةُ الانحيازِ لِمقتضى الطّباعِ عند الأزمات مألوف

عبّرَ بقوله: ﴿يُسَاقُونَ﴾؛ لتضمّنه معنى الدّفعِ بقهرٍ، وهو دالٌّ على التّعجيبِ من حالِهم، وأنّهم يَقيسون الأمرَ بالخروج قياسَ مَن يعتقِدُ أنّه مُكرَهٌ مَلجوءٌ إليه رغمًا عنه، والتّعجيبُ سببُه أنّهم مدفوعون، لكن إلى أسبابِ الحياةِ لا الموتِ، بالنّصر والظّفَر المحتوم وتمكينِ شَوكَتِهم ودَولَتِهم. "ونلحظُ أنّ هناك (سَوقًا)، وهناك (قيادة)، والقيادةُ تعني أن تكونَ منَ الأمام؛ لِتدلَّ النّاسَ على الطّريق، و(السّوق) يكون منَ الخلف؛ لتحثّ المتقدِّمَ أن يُقصِّرَ المسافةَ مع تقصيرِ الزّمنِ، فبدلًا من أن نقطعَ المسافةَ في ساعةٍ - مثلًا - فنقطعها في نصف ساعة؛ أي: أنّهم غيرُ مُنجزين للسّير، بل هم مدفوعون إليه دفعًا، وهم ينظرون بشاعةَ الموتِ؛ لأنّهم تصوَّروا أنَّ مواجهتَهم لألفِ فتىً من مقاتلي قريشٍ مسألةٌ صعبةٌ، فألفٌ أمامَ ثلاثمئةٍ مسألةٌ ليسَت هيّنةً؛ لأنَّ ذلك سيفرضُ على كلِّ مسلمٍ أن يواجهَ ثلاثةً معهم العُدَّةُ والعَتادُ، فكأنّ الصّورةَ الّتي تمثّلَت لهم صورةٌ بشِعةٌ، لكنّهم حينما نظروا هذه النّظرةَ لم يلتفتوا إلى أنَّ معهم ربًّا ينصرُهم على هؤلاء جميعًا"[1].

### دلالةُ التّعبيرِ بصيغة المضارع المبنيّ للمفعول:

معرفةُ الفاعلِ لا جدوى منها للمَسوقِ لِحَتفِه

التّعبيرُ بصيغة المبنيّ للمفعول في قوله: ﴿يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ مع عدمِ التّصريحِ بفاعلِ السَّوق؛ لعدمِ اكتراثِ المَسوقِ إلى الموتِ بفاعِلِ السَّوق؛ لِتوفّر عنايتِه بذاتِه واستغراقِه في شأنه حينئذٍ، ولأنّ المصائرَ المشؤومةَ إنّما تُكرَهُ لأجلِ الهالكين بسببها، بغضّ النّظرِ عن فاعليها؛ إذ معرفةُ الفاعلِ لا جدوى منها للمَسوقِ لِحَتفِه.

### فائدةُ ورود الجارّ والمجرور: ﴿إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾:

الجارُّ والمجرور متعلِّقٌ بـ﴿يُسَاقُونَ﴾[2]، وفائدةُ التّعليقِ عليه:

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 4584/8.

(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 532/3.

التّوسّلُ بحرفِ الانتهاءِ لفظًا، إلى غايةِ النّهايةِ بالموت معنىً

استبشاعُ انتهاءِ الغايةِ الّذي أفاده حرفُ الانتهاء (إلى)؛ لكونه انتهاءً إلى فناء، فتوسّلَ بحرفِ الانتهاء لفظًا، إلى غايةِ النّهايةِ معنًى.

**أثرُ اختلافِهم في المراد بالموت بين الحقيقةِ والمجازِ:**

المرادُ بالموت في قوله: ﴿يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ على وجهين:

لا فرقَ بين مُعاينةِ سببِ الشّيءِ ومعاينةِ ذاتِ الشّيء

الأوّل: يُساقون إلى مواقِع الموتِ ومَظانِّه؛ لأنّهم ثلاثُمئة في مواجهةِ ألفٍ، وهذا سببٌ من أسباب الموتِ لا أنّه حقيقةُ الموتِ، وعليه فالموتُ مجازٌ؛ لأنّه أطلقَ الشّيءَ، وأراد سبَبَه على أنّه مجازٌ مُرسَلٌ علاقتُه المُسبّبيّة.

الثّاني: يُساقون إلى الموتِ المُحقَّقِ، كأنّهم عاينوه ذاتَه بمعاينةِ أسبابِه، وحينئذٍ فالموتُ محمولٌ على الحقيقة.

**أثر إعراب: ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾:**

قولـه: (يُساقُ للموتِ وهو يَنظُر)، جاريةٌ مجرى الأمثالِ

جملة ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ حاليّة من قوله: ﴿يُسَاقُونَ﴾، والتّذييلُ بها انتقالٌ من حالِ التّصوّرِ إلى حالِ التّصديق؛ أي: إنّهم يُساقون إلى الموتِ بما أخبِروا به عنه، وهم ينظرون؛ أي: يرونه بأعينهم، والغرضُ: الإيماءُ لِفرط رعبِهم وانتفاضِ قلوبِهم منَ القتال؛ لقلّة عددِهم وعدم استعدادِهم، وهو مبالغةٌ في إطباقِ حالِ الكراهيةِ عليهم؛ لاجتماع سَماعِهم بالمكروه مع نظَرهم إليه. والتّشبيهُ جارٍ مَجرَى الأمثالِ في صلاحية إطلاقِه على مواردَ متعدّدةٍ، فعبارةُ: (يُساقُ للموتِ وهو يَنظُر) مصوغةٌ، كما يُصاغُ المَثَلُ السّائِرُ.

**فائدةُ تقديمِ المسند إليه في ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾:**

سياق التّقديمِ، يُقرِّبُ السّامِعَ مِنَ استِحضارِ ذواتِ الفاعِلين

ذِكرُ المسندِ إليه ﴿وَهُمْ﴾ - وهو ضميرٌ عائدٌ على صاحبِ الحال، ولذلك وُصِلَتِ الجملةُ بالواو - أفاد النّصَّ على تعيين ذواتِهم؛ لاستحضارها في مشهد النّظَرِ، وتأكيد أنّ النّظرَ المذكورَ كأنّه - في حيّز التّشبيه - حاصلٌ منهم جميعًا، لا يتخلّفُ من أشخاصِهم أحدٌ،

مع قصدِ أن يستحضرَ السّامعُ صورتَهم بذواتهم وأشخاصهم، وهم يُزاوِلون النّظرَ للخَطَر زيادةً في التّقرير وتأكيدًا للتّشبيه.

### إيثارُ استعمالِ ﴿يَنظُرُونَ﴾ دون مرادفاته:

التّعبيرُ بفعلِ النّظرِ، دالٌّ على المواجهةِ والتّرقُّبِ

إيثارُ فِعلِ النّظَرِ دون البصر وغيرِه ممّا يقاربه؛ لقصد الدّلالةِ على أمرين: الأوّل: المواجَهَة؛ لأنّ ناظرَ الشّيءِ يواجِهُه ويُقابلُه، وهذا بلازمِه يفيدُ عدمَ ملابستِه لمتعلّقِ النّظرِ، فهم - فقط - ينظرون، وهذا التّعبيرُ أليقُ بحالهم، فهم قد كانوا في مواجهةِ ما خافوا منه دون أن يُلابسوه، ويُبصروا عاقبتَه، ولو انتقلوا من حيّز المواجهةِ إلى حيّز الملابسةِ لَعَلِموا أنّ اللّه سينصرُهم بلا صُنعٍ منهم. الثّاني: التّرقُّب؛ لأنّ النّظَرَ مشتملٌ على معنى التّرقّبِ والانتظارِ، فالنّاظِرُ إلى الشّيء يترقّبُ الإحاطةَ به من جميع جوانبه، وينتظرُ المَساسَ به ومُلابستَه، وهذا مطابقٌ لحالِهم من توقّع الخطرِ وعدمِ الإيقانِ به، وانتظارِهم لِلقاء العدوّ، كنظَرِهم إلى مواقعِ الموت، فكان التّعبيرُ بالنّظر أليقَ[1].

### حذفُ مُتعلَّقِ الفعلِ ﴿يَنظُرُونَ﴾:

الحذفُ بلاغةٌ معهودةٌ في السّياق، وغايته غالبا الإيجاز

حذفَ مُتعلَّق ﴿يَنظُرُونَ﴾ فلم يقُل: (ينظرون إلى كذا) وهذا يشيرُ إلى قصدِ التّعميم والاختصار، وتعذّرِ انحصارِ المتعلَّقِ في مفعولٍ محدّدٍ؛ لأنّ الّذين يُساقون إلى الموتِ تختلفُ أنظارُهم وتصوّراتُهم في تلك السّاعة بحسب اختلافهم في مَنازِعِ أفكارِهم، وغرائزِ طبائعِهم، أو المفعولُ محذوفٌ لدلالةِ ما قبله عليه[2]؛ أي: (يساقون إلى الموت، وهم ينظرون إلى الموت)، فالحذفُ للإيجاز.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### السَّوْق والدَّفع والقوْد:

الدَّفع: الإزالةُ بقوّةٍ. فالدّفعُ قد لا يكون قيادةً أو سَوقًا، بل

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 224/8، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نظر).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 268/9.

**السّوقُ والقَوْدُ هو دفعٌ مخصوصٌ لغرضِ إدارةِ الشّيء، والدّفع إزالته بقوّة**

يكون مُستعملًا في دَرءِ الشّيءِ وإزالتِه. وأمّا السَّوقُ والقودُ فهو دفعٌ مخصوصٌ لغرضِ إدارةِ الشّيء، لا بقصد إزالتِه ومُقاومتِه. والقَودُ: نَقيضُ السَّوقِ، يَقودُ الدّابَّةَ مِن أمامِها، ويَسوقُها مِن خَلفِها، فالقَودُ مِن أمامٍ، والسَّوقُ مِن خَلفٍ[1].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دفع)، وابن منظور، لسان العرب: (دفع - قود)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (دفع - سوق).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»